



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

منصات الميديا الجديدة والعنف المقدس

الكتاب التاسع والتسعون - مارس (آذار) 2015

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

مخاطر الإسلام السياسي على مواقع التواصل الاجتماعي

محمود شعبان بيومي*

من البديهي تأكيد احتلال الإسلام السياسي بأطرافه كافة، الفكرية، ومدارسه الأيديولوجية، مساحة كبيرة في الإعلام، من حيث تغطية أخباره ومتابعة خطواته، إلى انطلاق نوافذ إعلامية معنية بترويج الخطاب الفكري والنهج السياسي لتلك التشعبات التابعة لأطراف الإسلام السياسي المختلفة، مروراً بمساحات الإسلام السياسي الشاسعة في مواقع التواصل الاجتماعي، وقدرة حركات الإسلام السياسي على الظهور في شكل نمطي جديد داخل هذه المواقع جديدة بالمتابعة، والتدقيق في مآلات ما يقدمه للمتابعين.

(* باحث مصري في الشؤون الإسلامية.

ما ساعد وبقوة على بزوغ نجم حركات الإسلام السياسي في عوالم التواصل الاجتماعي؛ كانت الفورة الشعبية التي اجتاحت بعض الدول العربية، وانطلاق ما سمي بالثورات العربية بعد ذلك. إن ما تم في العالم العربي لم يرق إلى الثورات، بل فورات وانتفاضات شعبية فقط.

اللافت للنظر، أن حركات الإسلام السياسي تعاملت بمهنية مع مواقع التواصل الاجتماعي، وقدمت رسالتها إلى المتابعين بأسلوب ينم عن تقنية جيدة في التعاطي مع هذه الوسائط، في محاولة للبرهنة على امتلاك تلك الحركات -وخصوصاً الجهادية منها- الطرح الفكري والسياسي المحترم، الذي يشجع المتابع على أن ينهل منه.

تطور أداء حركات الإسلام السياسي بعد ذلك، وبدا في منتصف الأمر أن الحركات الإسلامية تسعى من خلال هذه النوافذ إلى استقطاب شريحة جديدة من المؤيدين، وتعمل على جذب جيل جديد يؤمن بأطروحاتها الفكرية والسياسية، فينشر أفكارها نيابة عنها في أوساط مريدي مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما عرف بعد ذلك باللجان الإلكترونية.

اللجان الإلكترونية، والتي تتبلور وظيفتها في الأساس في صد أي محاولات هجوم من الناقدین لطروحات الحركات الإسلامية، حتى لو تخلت عن وسائل الإقناع المقبولة، تتطلق كالجراد المنتشر وتهاجم الناقدین، وتعتهم بأقذع الاتهامات من أجل تشويه صورة الخصم في مجابهة الإسلاميين.

ولعل الأنظمة الحاكمة في بلدان العالم العربي، لم تدرك أهمية دور مؤسسات الدين الرسمية إلا مؤخراً، فحاولت دار الإفتاء في مصر إصدار فتاوى، تحاول من خلالها تبين خطورة العبث إعلامياً في مواقع التواصل الاجتماعي، وأن تقدم خطاباً رصيناً، إلا أن عجز تلك المؤسسات عن امتلاك مقومات الجاذبية التي تجاري صفحات الإسلاميين الحالية، جعل نجمها خافتاً في مواجهة مخاطر الخطاب الديني لحركات الإسلام السياسي في مواقع التواصل الاجتماعي.

أولاً: الإسلام في مواقع التواصل الاجتماعي

مثل الخطاب الإعلامي لمؤسسات الدين الرسمية، حالة من التراجع، شأنه شأن القطاعات الأخرى كافة، سواء السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية. ففي الوقت الذي تنتشر الرسالة الإعلامية بسرعة كبيرة، نجد أن المؤسسات الرسمية المنوط بها تقديم الإسلام بوجهه الحقيقي البعيد من تأويلات الجهاديين تارة، وتأويلات الجماعات المعنية بالعمل السياسية ذات المرجعيات الإسلامية تارة أخرى، منشغلة بثانويات الأمور بعيداً من الانتباه إلى الدور الحقيقي.

كان من اللافت للانتباه -على سبيل المثال لا الحصر- أن الأزهر ليس له متحدث رسمي، يتكلم باسمه في القضايا الدينية كافة المعروضة هنا أو هناك، أو القضايا السياسية الملتبسة، ولا يوجد متحدث إعلامي، يستطيع أن يخاطب الغرب، ولا يوجد متحدث متخصص، له باع في الإعلام يستطيع أن يقدم للناس خطاباً دينياً جامعاً، يكشف زيف التأويلات التي يقدمها أصحاب التيارات الجهادية أو الإسلام السياسي، عن مشروع الإسلام الحقيقي .

حتى حينما التفت الأزهر لضرورة أن يكون لديه بوابة إلكترونية، تقوم على نشر الأخبار، وتعنى بالجانب الحقيقي لا المزيف من الأحداث التي تحدث بالداخل أو الخارج، كان ذلك متأخراً، فبمجرد دخولك على البوابة الإلكترونية، يقابلك سريعاً، إعلان عن وظائف الأزهر للمدرسين، بجانب بعض الأخبار التقليدية عن لقاءات شيخ الأزهر، مع بعض بيانات الأزهر القديمة التي مر عليها أشهر⁽¹⁾.

في حفل تدشين، البوابة الإلكترونية للأزهر الشريف، كان خطاب عباس شومان وكيل الأزهر الشريف، ساعياً إلى تأكيد أن البوابة ستكون منبر من لا منبر له، وأن نشاطها الإخباري سيطل النوافذ الإعلامية والقطاعات الحياتية كافة، ولم ينس في طيات كلامه تأكيد حكمة شيخ الأزهر. إلا أن الأزهر لم يلتفت كثيراً إلى أهمية وجود خطابه الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي، سواء في فيسبوك أو

(1) الصفحة الإخبارية لمشيخة الأزهر، على الرابط التالي:

<https://www.facebook.com/On.Azhar?fref=ts>

تويتر أو غيرها من الصفحات الأخرى، فصفحة الموقع الإخباري للأزهر الشريف، لم يتم تحديثها منذ بدايات أكتوبر (تشرين الأول) الماضي⁽²⁾.

وعلى الرغم من المطالبات الجمة للأزهر بضرورة الظهور بالشكل الذي يليق به إعلامياً، من خلال تدشين قناة فضائية، ونافذة إعلامية احترافية، فإن الأمر لم يتعد كونه أمنيات، وتصريحات من قيادات و علماء أزهرة لا علاقة لها بالواقع على الإطلاق، وخصوصاً أن بعض علماء الأزهر وأحد القيادات السابقة به ذهب إلى أن خطاب الأزهر الإعلامي استطاع مواجهة التطرف الفكري لبعض التيارات الإسلامية في مصر، وهذا غير حقيقي، خصوصاً أن الأزهر لم يلاحظ وجود دور إعلامي أو فكري حقيقي لمجابهة تلك الأفكار. واكتفى ببعض البيانات التي توضح موقفه من هذه الحركات⁽³⁾.

الدكتور محمود عاشور (وكيل الأزهر السابق) يقول: إن الأزهر نجح في مواجهة الإرهاب في مصر، وانحسرت الكثير من مظاهر العنف بالبلاد بفضل جهود المؤسسة الدينية، ودورها في فضح أصحاب الأفكار الضالة، البعيدة من سماحة الإسلام ووسطيته⁽⁴⁾.

إلا أن محمد الشحات الجندي (عضو مجمع البحوث الإسلامية) كان أكثر واقعية حينما شدد على أن انتشار التطرف في بعض دول المنطقة، ومن ضمنها مصر، وظهور الجماعات التي ترفع راية الإسلام، في حين أنها لا تعرف سوى القتل والعنف وتدمير المجتمعات، ووضع عراقيل وتحديات كبيرة أمام الأزهر من أجل استعادة الشخصية الإسلامية الوسطية، التي تقبل الآخر، ولا تعرف الكراهية أو العنف⁽⁵⁾.

(2) شومان: الأزهر صنع إنجازاً جديداً بإطلاق البوابة الإلكترونية، على الرابط التالي:

<http://onazhar.com/page:home2.php?page=3&page4=1&page5943=2>

(3) كلمة فضيلة وكيل الأزهر الأستاذ الدكتور عباس شومان بمناسبة افتتاح البوابة الإلكترونية للأزهر الشريف، على الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=g660bmykCHw>

(4) الأزهر يتصدر المواجهة الإعلامية ضد الفكر التكفيري المتطرف، صحيفة العرب اللندنية، 2014/9/23، على الرابط التالي:

<http://alarab.co.uk/m/?id=33696>

(5) المرجع السابق.

وعلى الرغم من أن الدستور المصري الذي تم إقراره عام 2014 قد أكد أن الأزهر هو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشؤون الإسلامية، فإن الأزهر ودوره في المجتمع وقدرته على ترك بصمة حقيقية، ومحو موجات التطرف التي يمر بها بعض شباب الإسلاميين في العالم العربي، لا تكون إطلاقاً بنصوص دستورية أو قانونية، إنما بالجهد الواضح والخطاب الإعلامي الحقيقي.

إلا أنه يجب الإشارة إلى أن الأزهر، لا يمارس دوراً رقابياً حينما يسعى إلى الوجود بقوة في المحيط الإعلامي، سواء الديني أو السياسي، إنما يكون تمثيلاً، للخطاب الإسلامي الحقيقي، ولا أقصد هنا كهنوت الكنيسة في تعاطيها مع الدين، إنما ما أعنيه هو أن يجد العامة والخاصة جهة حقيقية، ذات ثقة، يعودون إليها حينما يلتبس عليهم أمر الفتاوى وتأويلات النص الديني، خصوصاً في ما يتعلق بالجهاد والمرأة والجزية وغير المسلم، وما إلى ذلك من القضايا التي يتم تأويلها طبقاً لقناعات كل تيار سياسي، وليس استناداً إلى علماء ثقات سواء في العصور الحديثة أو قديماً⁽⁶⁾.

على الرغم من أن الأزهر يقوم بين الفينة والأخرى ببعض المؤتمرات ذات الدلالات المتعلقة بمحاربة التكفير والتفسيرات الدينية، فإن تباعد المؤتمرات، واقتصار جمهورها على الأكاديميين، وعدم وجود نشرات علمية تخرج ببيانات ونتائج ونقاطاً يلتقطها الشعب والمثقفين وقطاعات الملتزمين، يجعل جدواها غير كبيرة⁽⁷⁾.

غياب الأزهر وأصحاب الرؤى الإسلامية الحققة من العلماء عن مواقع التواصل الاجتماعي، صنع خللاً فكرياً، وفجوة كبيرة بين الأجيال الحالية التي عانت من غياب صوت الأزهر، واضطرت إلى التناول الإعلامي للخطابات الإسلامية الأخرى للجماعات الإسلامية، واعتبارها - إلى حد ما - مصدراً من مصادر التثقيف الديني،

(6) الدكتور عباس شومان وكيل الأزهر الشريف: الأزهر ليس سلطة رقابة أو منع، الأهرام الرقمي، 15 يوليو (تموز) 2014 على الرابط التالي:

<http://digital.ahram.org.eg/Community.aspx?Serial=1639758>

(7) الأزهر ينبري لمواجهة إرهاب خطاب هابيل وقابيل، صحيفة السفير اللبنانية، 4 / 12 / 2014، على الرابط التالي:
<http://assafir.com/Article/388014/1>

وخصوصاً أن رواد التواصل الاجتماعي، لن يبذلوا جهداً للذهاب حيث يكمن «الأزهر» ويطرحوا تساؤلاتهم، إنما هم في حاجة إلى من يقتحم عليهم عالمهم الافتراضي ويقدم لهم رسالة الإسلام في صورته الحقيقية، لا أن يتركهم، لقمة سائغة لجماعات الإسلام السياسي.

ثانياً: تأثير الخطاب الديني في مريدي مواقع التواصل الاجتماعي

في قياس مساحات تأثير الخطاب الديني سواء الرسمي من مؤسسات الدولة الرسمية كالأزهر والأوقاف والإفتاء، وغير الرسمية كخطابات الإخوان وشيوخ التيار السلفي، تظهر بعض الحقائق:

1- خروج بعض الفتاوى من العلماء المحسوبين على الأزهر أو الأوقاف؛ والإفتاء تتضاد مع القناعات الدينية الحقيقية، أو حتى تلك التي تتضاد مع تقليدية الطرح الديني، تدفع في اتجاه فقدان الثقة في الخطاب الديني الرسمي، بل تدفع إلى اعتبار مثل تلك الفتاوى ذريعة للتندر والسخرية من المؤسسات الدينية الرسمية⁽⁸⁾.

2- خروج علماء الأزهر لمحاورة بعض أصحاب الفتاوى المنفلتة، في الإعلام، ينزع صفة التبجيل عن العالم الأزهري وخصوصاً أن الطرف الآخر يسعى دائماً إلى جره لافتعال الأزمات حتى لو دفعه ذلك إلى شتم صاحب الأطروحة الفاسدة⁽⁹⁾.

3- خروج الفتاوى المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة، والجنس، تدفع المتابعين لدور المؤسسات الدينية الرسمية للهجوم، عليها والتندر على مضمون تلك الفتاوى، وخصوصاً أنها تأخذ مساحة كبيرة من الإعلام.

4- اقتراب الداعية أو المتخصص التابع لأي من المؤسسات الدينية الرسمية

(8) سعد الدين الهلالي: المصريون كلهم مسلمون ومش شرط تؤمن بمحمد أو عيسى، على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=8SrFokCQ6E0>

(9) الشيخ ميزو يهدد عبدالله النجار: هقدم فيك بلاغ للنائب العام بتهم الاستنجاة بالإنجيل والتوراة، على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=QBjCQNEoolw>

بشكل فج من النظام القائم في البلاد، وأقصد النظام السياسي، ومجاراته في كل تصرفاته وإصدار فتاوى تؤيد النظام السياسي في كل تصرفاته، من دون الاعتبار لوجود شريحة مجتمعية كبيرة معارضة للنظام، يدفع الكثيرين إلى النظر بعدم اعتبار لما يخرج من فتاوى من هذا الرجل أو هذه المؤسسة باعتباره أو اعتبارها في النهاية مؤسسة تجامل النظام السياسي بتأويل النص الديني، شأنها شأن التيارات الإسلامية التي تصنع من النص الديني ما يخدم رؤاها الجهادية.

5- عدم تفعيل دور شيخ الأزهر، المجتمعي، وكذلك المفتي، من خلال غياب أي منبر إعلامي يكون نافذة مباشرة بين الشخصين والجمهور، سواء كان موقعاً إعلامياً أو صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي، يفقدهم الكثير من التلاحم مع قطاعات كبيرة من الشعب، مما يؤدي إلى غياب أي صدى إيجابي لفتاواهم لدى الناس.

6- يبقى جمود الخطاب الديني المقدم من المؤسسات الدينية الرسمية ورموزها، عائقاً كبيراً أمام إحداث تأثير حقيقي لدى قطاعات الشباب بالأخص في المجتمع، وتبقى حتى الأمنيات التي يتضمنها الخطاب الديني مجرد أطروحات وتمنيات لا يتبعها جهد رسمي من الدولة أو من المؤسسات ذاتها لخلق حالة من الدعم الشعبي لها⁽¹⁰⁾.

ثالثاً: الإسلاميون وتفاعلاتهم في مواقع التواصل الاجتماعي

يتنوع التفاعل الإسلامي على مواقع التواصل الاجتماعي باختلاف المشارب الفكرية لكل تيار سياسي، ذي مرجعية إسلامية، ومع اتساع رقعة الإعلام الإلكتروني والإعلام الموازي، ومع ضيق المسافات بين العوالم المختلفة، بات كل شخص داخل أي تنظيم إسلامي سواء كان وسطياً أو جهادياً أو حتى صوفياً، هو كتلة من التفاعل

(10) فضيلة المفتي شوقي عبد الكريم علام يكتب: الخطاب الديني.. ومكانة الأزهر الشريف.. استطلاع الأزهر عبر العصور أن يحتوي الجميع وأن يهضم الكل وأن يصبغهم بصبغته الوسطية الرافعة للخرج عن الأمة، اليوم السابع، 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 2014، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/xdur1h>

الفريدة ونافذة إعلامية متحركة يستطيع أن ينقل عبر صفحته على المواقع المعنية بالتواصل الاجتماعي، ما يريد من أخبار، بغض النظر عن مدى صحتها، أو أن ينشر رؤى تحليلية بغض النظر عن مدى جديتها، ويجد من يرحب ويدعم ويتبنى تلك الرؤى بكل سهولة.

تخطى تفاعل الإسلاميين مواقع التواصل الاجتماعي، وظهرت قنوات خصوصاً الرموز دعوية وقيادات دينية وجماعات سياسية على يوتيوب، تعنتي بنشر ما يعبر عن قناعات تلك الجماعة أو أطروحات هذا التنظيم، أو حتى تخيلات هذا الرمز.

انتقل الإسلاميون مع مرور الوقت إلى فاعلين في مواقع التواصل الاجتماعي: بغض النظر عن متانة المحتوى المطروح، أو مدى صدقيته أو قابليته للمنطق، ولكن نجاح التنظيمات الإسلامية في صناعة التجيش أو ما عرف بعد ذلك باللجان الإلكترونية، جعل ما يطرح من أخبار واتهامات للخصوم السياسيين، وإن كان باطلاً، هو الحقيقة بعينها مع تبادل تلك الأخبار والاتهامات بين اللجان الإلكترونية، أو بين تابعي التنظيمات والجماعات الإسلامية. ونجد الفعل الإسلامي في مواقع التواصل الاجتماعي تحت العناوين الآتية:

العنوان الأول: الإخوان وخطابهم الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي

سعى الإخوان بعد الثورة إلى ترسيخ شرعيتهم لدى الدولة من خلال النوافذ الإعلامية المتعددة التي باتوا يطلون منها على الرأي العام، وتمتلك الجماعة أربعة مواقع رسمية على الإنترنت إلى الآن وهي: «إخوان أون لاين»، الموقع الرسمي للجماعة، بالإضافة إلى «إخوان ويكي» المعني بتاريخ حكايات الإخوان في التاريخ، و«إخوان تيوب» وهو نافذة مرئية على الإنترنت يطل منها الإخوان على المشاهدين من خلال أفلام تسجيلية عن تاريخهم، و«إخوان ويب» الموقع الإنجليزي الأول للإخوان، وقرر الإخوان الانضمام إلى مجال الإعلام الفضائي من خلال إنشاء قناة فضائية أطلقوا عليها «مصر 25»، بالإضافة إلى صحيفة ورقية حملت اسم حزب الجماعة «الحرية والعدالة» وغيره.

ومع الإطاحة بمحمد مرسي عن سدة الحكم، بات الخطاب الإعلامي للإخوان، في مواقع التواصل الاجتماعي كاشفاً إلى حد كبير للحالة السياسية التي يعاني منها التنظيم :

1- سعى الخطاب الإخواني في مواقع التواصل الاجتماعي إلى البحث طيلة الوقت عن أية معارك سياسية، حتى وإن كانت وهمية، لتحقيق نجاحات فيها، في الفضاء الإلكتروني، خصوصاً بعد إخفاقهم في الواقع، فالتحف أعضاء التنظيم طيلة الوقت، بخطاب الشقاق، والسب والتخوين والتهجمات المتبادلة لكل الأطراف السياسية التي تقف على يسارهم وترفض الانزلاق إلى مشروعهم السياسي وصراعهم مع الدولة.

2- سعى الخطاب الإخواني في مواقع التواصل الاجتماعي، خصوصاً في المواقف المفصلية في الثورة، وما بعد الإطاحة بمحمد مرسي إلى ارتكاب مجازر نفسية لكل من شارك في الحراك السياسي الذي أدى إلى عزل مرسي، سواء كانوا إسلاميين أو ليبراليين أو يساريين.

3- كانت اللجان الإلكترونية للإخوان حاضرة بقوة في قطع رقاب أي رمز سياسي أو كيان حزبي، يوجه نقداً إلى مسار الإخوان السياسي، حتى وإن كان النقد من باب النصح الحميد.

4- أصبحت صفحات الإخوان على مواقع التواصل الاجتماعي مرتعاً لترديد روايات مكذوبة وغير واقعية عن الصراع السياسي، شريطة أن تخدم الصراع السياسي الخاص بهم مع الدولة، مثل الرؤى والأحلام التي يراها أعضاء التنظيم تبشرهم بقرب عودة مرسي إلى الحكم مرة أخرى.

5- حاول التنظيم الحفاظ على الحيادية في بداية صراعه مع السلطة بعد عزل مرسي، في محاولة منه لجذب شريحة أخرى من الشارع تناصر قضاياه ولكنه أخفق بقوة.

6- اضطر خطاب الإخوان الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي، للترويج لقضاياهم ومظلوميته السياسية إلى الاستعانة بمواقف وأطروحات عدد من دعاةهم في العالم العربي، مثل: محمد العريفي، ونبيل العوضي، وطارق السويدان، لإظهار مدى مساحرة الدعم الكبيرة لمرسي ولقضاياهم السياسية.

7- كانت صفحات الإخوان على مواقع التواصل الاجتماعي «حجراً» على أعضاء التنظيم، وخصوصاً أن الرؤى المختلفة للطرح السياسي الإخواني لم تكن تسلم من النقد والتوبيخ، من أعضاء التنظيم طيلة الوقت.

8- كان لتطور الصراع السياسي على الأرض بين الإخوان والجيش، نتيجة كارثية على الخطاب الديني المقدم في وسائل التواصل الاجتماعي، فظهر عصام تليمة (سكرتير يوسف القرضاوي السابق) وهو يؤصل ويشرعن، لجواز شتم عبدالفتاح السيسي رئيس الدولة بهاشتاغ «تم تصميمه من جانب شباب إخوان. واستدل تليمة بفتاوى من التراث، لتعزيد موقفه، وهو ما ظهرت نتيجته بشكل سلبي على النسق الأخلاقي لأعضاء التنظيم على صفحات التواصل الاجتماعي، فانتشر للمرة الأولى الشتم والسب بالأب والأم والتخوين المطلق وتبادل الاتهامات من دون أدلة واضحة لكل الخصوم، وحتى للأصوات التنظيمية التي تعارض الخط السياسي لقيادة التنظيم».

العنوان الثاني: الخطاب السلفي في مواقع التواصل الاجتماعي

تنوع الخطاب السلفي في مواقع التواصل الاجتماعي، خصوصاً مع اختلاف المدارس الفكرية السلفية ورؤاها المتعلقة بالتناول السياسي للأحداث بداية من الدعوة السلفية والجهة السلفية ورموز الإسلاميين المستقلين، وعلى الرغم من أن التيار السلفي - بكل أطيافه - كان بعيداً من الإعلام بشكل كبير قبل الثورة، لعدم إيمانه بجدوى التعاطي الإعلامي، بخلاف الفتاوى التي كانت تخرج كل فترة تحرم التصوير، إلا أن السلفيين تركوا بصمة واضحة في التواصل الاجتماعي.

ومع مرور الوقت تنوعت المنابر الإعلامية التي تعبر عن التيار السلفي، فعلى سبيل المثال، انطلقت الدعوة السلفية نحو الإعلام بعد قرارها بخوض العمل السياسي ودخول البرلمان وإنشاء حزب النور السلفي، فأنشأ عماد عبدالغفور (رئيس حزب النور السابق) جريدة الفتح وأنفق عليها من ماله الخاص لتكون منبرا إعلاميا للحزب والدعوة السلفية.

ولكن رحيل عبدالغفور عن الحزب، تسبب في ارباك الجريدة وتوقفت فترة كبيرة، حتى عاودت الظهور مرة أخرى وأصبحت لسان حال حزب النور السلفي، تستخدم في مهاجمة الخصوم السياسيين كالإخوان ومنشقي حزب النور أو منشقي الدعوة السلفية، الذين رفضوا اقتراب النور من السلطة الحاكمة في البلاد.

ومع تصاعد وتيرة الأحداث، السياسية، وعزل محمد مرسي، بات حزب النور السلفي والدعوة السلفية، في مرمى نقد الإخوان، وهو ما دفع بالنور السلفي، والدعوة السلفية ومريديها لأن يكون لهم وجودهم الواضح في مواقع التواصل الاجتماعي.

وعلى الرغم من غياب الصوت الرسمي للدعوة السلفية في مواقع التواصل الاجتماعي، فإن اللجان الإلكترونية للدعوة السلفية وحزب النور، كانت واضحة في مواقع التواصل الاجتماعي، تبارز الإخوان ورؤاهم السياسية بالنقد الشديد والهجوم الواضح.

وبات الأمر كحلبة مصارعة، بين اللجان الإلكترونية الإخوانية والسلفية، يحاول كل طرف أن يبرهن على صحة موقفه السياسي، وهناك ملاحظات حول الخطاب الإعلامي للدعوة السلفية في مواقع التواصل الاجتماعي:

1- الخطاب الإعلامي للدعوة السلفية وحزب النور السلفي، في ثوبه الرسمي، يتجنب النقد الواضح والصريح للإخوان في مواقع التواصل الاجتماعي، ويترك هذه المهمة إلى اللجان الإلكترونية وأعضاء الحزب، على خلاف الإخوان الذين يكررون كثيراً تأكيد خيانة النور السلفي للثورة وارتكانهم إلى العسكر.

2- يركن - كثيراً- الخطاب الإعلامي للنور السلفي والدعوة السلفية إلى التركيز على الإطار الديني لتحركهم، حتى يستوعب المتابع، قدسية تقييماتهم، ورؤيتهم للواقع.

3- يختلف خطاب «الجبهة السلفية»، وهي كيان داعم لمحمد مرسي ورافض للنور السلفي ولخياراته السياسية، عن خطاب الدعوة السلفية، فخطاب الجبهة مليء بالتقريع للنور السلفي على موقفه السياسي.

4- تعتمد الجبهة السلفية - كثيراً- في نقدها للخطاب الإعلامي للنور السلفي، على سرد المواقف السابقة للنور من الإخوان والسلطة والنظام، للبرهنة على هشاشة موقف النور السلفي وضعف موقفه.

العنوان الثالث: الخطاب الجهادي في مواقع التواصل الاجتماعي

كان أثر الخطاب الجهادي واضحاً في مواقع التواصل الاجتماعي خصوصاً مع اشتداد وتيرة الصراع السياسي داخل مصر مع سقوط نظام الإخوان؛ وقدرة تنظيم الدولة على تحقيق نجاحات عسكرية تذكر، في العراق، ومع عزل محمد مرسي كان هناك الوازع القوي الذي ينطلق منه الخطاب الإعلامي الجهادي إلى قواعد الإسلاميين في كل مكان، وقدرته على الحشد، بل على التجنيد أيضاً، فتهور المئات من شباب الإسلاميين إلى مناطق الصراع في ليبيا وسيناء وسوريا والعراق، ملبيين للخطاب الإعلامي المطروح في مواقع التواصل الاجتماعي المعبر عن حالة الاشتياق إلى هزيمة الأنظمة السياسية البعيدة من الأيديولوجية الإسلامية.

أغفل الجهاديون الأخطاء التي ارتكبتها الإسلاميون على شاكلة الإخوان وخطابهم الإعلامي، وغلفوا خطابهم الإعلامي بصبغة دينية بحتة، غير راغبين في الولوج في نقاش سياسي يدركون مآلاته جيداً، وهو ما صنع مناخاً جيداً لراغبي التطوع لهذا الخطاب من شباب الإسلاميين الذين كانوا يرون في خطاب الجهاديين، سواء تنظيم الدولة الإسلامية أو تنظيم أنصار بيت المقدس، نجاحاً لهم

في ظل إخفاق التجربة الديمقراطية التي هللوا لها في مصر، مع قدوم محمد مرسي واستطاع الخطاب الإعلامي للجهاديين تحقيق بعض النجاحات نذكر منها:

1- استطاع خلق مناخ من النجاح، غرر به أتباعه ومريديه، بل وسع مساحة التجنيد للمزيد من الشغوفين بنصرة الإسلام في مصر والرقعة العربية كافة.

2- برهن على قدرته على الوفاء بما يعد به الأتباع، فكلما خرج خطاب جهادي يتكلم عن الوعد بالإنجاز ضد الأعداء، يردون سريعاً بالوفاء بتلك الوعود، وهو ما خلق حالة كبيرة من المصادقية، لدى المتابعين للخطاب الجهادي.

3- كان الخطاب الإعلامي للجهاديين «مفزعاً» للغرب، وخصوصاً أنه خرج بتهديدات، بعد قتل العديد من الأجانب في العراق وسوريا ودعوته إلى مريديه إلى التركيز في الفترات المقبلة على العمل لاستهداف الغرب داخل أراضيه.

4- خلق الخطاب الإعلامي الجهادي في مواقع التواصل الاجتماعي، شريحة كبيرة من الداعمين لهم، نكاية في النظام السياسي المصري خصوصاً بعد تجاوزات الجيش في سيناء.

5- استطاع الخطاب الإعلامي الجهادي الوصول إلى شرائح جديدة من الشارع المصري. على سبيل المثال: حينما نشر أنصار بيت المقدس فيديو كمين كرم القواديس على تويتر، تابعه شرائح كبيرة من الشارع المصري، خاصة الشباب، رغبة في التشفي في تجاوزات الجيش في سيناء.

6- أثبت الخطاب الإعلامي للجهاديين درجة عالية من الحرفية في ظل استخدام التقنيات الحديثة والتكنولوجية، للتدليل على صحة موقفهم وبراعتهم في تقديم رسالتهم الإعلامية

الدين فوق كرسي الحكم... و قدسية الخطاب الديني

أولاً: الخطاب الديني في مواقع التواصل: المنتصرون وقطع الرقاب

إن التنظيم الديني، أياً كانت أيديولوجيته، له الحق في التطلع السياسي، نحو السلطة، بغض النظر عن الكيفية التي يسعى بها، أو الخطاب الذي يستخدمه في التوجه نحو الجمهور، فضلاً عن أن التنظيم الديني لا يكون تنظيمًا سياسياً إلا إذا طالب مردييه وأعضاءه بالتضحية من أجل المجتمع، فإذا كان من متطلبات الجماعة الدينية أن يضحي الفرد بنفسه، فحينذاك تصبح هذه الجماعة بمثابة كيان أو وحدة سياسية. وفي هذا الإطار من النادر أن تبقى الجماعة الدينية كتجمع ديني صرف، بل لا بد من أن تتطلع إلى السلطة والنفوذ⁽¹¹⁾.

لكن مع وصول الإخوان ومن دعمهم من معسكر الإسلاميين إلى سدة الحكم عقب ثورة شعبية، تسلقوا نتائجها، وانكبوا في صفقات مع الجيش، فيما سمي بـ«فترة الحكم العسكري»، ظهر التوجه الفكري في خطابهم الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي، ساعياً إلى بلورة ثقافة «الطاعة المطلقة» و«الثقة المطلقة» في خطواتهم نحو الممارسة السياسية، من دون الالتفات حتى إلى الاختلافات التي يضمها التنظيم بين جنباة في الرؤى، ناهيك عن الطرح المخالف في الفكر والآليات من التيارات السياسية الأخرى، وبدأ الإخوان، ينتهجون ما ذهب إليه قديما المفكر السياسي الفرنسي مونتيسكيو (1689-1755) من أن الدين يخدم الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي من خلال مساندته لفكرة إطاعة الحاكم واستئصال فكرة الاستقلال لدى الأشخاص⁽¹²⁾.

(11) شيرزاد أحمد النجار، العلاقة بين الدين والدولة.. توظيف العامل الديني في العملية السياسية، صحيفة «الرأي» الأردنية، 2014/6/17، على الرابط التالي:

<http://m.alrai.com/article/653908.html>

(12) عبد الجبار ناصر، الدين والدولة، موقع المثقف، على الرابط التالي:

<http://almothaqaf.com/index.php/religion-state/59655.html>

اصطدم خطاب الإخوان الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي، مع طروحات التيارات السياسية والليبرالية التي كان لها الفضل في شرارة الثورة، وبات الطرفان يبتعدان كثيراً عما يجب أن يتفقوا عليه لاكتمال الثورة.

بدأ الإخوان استحضار التأويلات الخاصة بالنص الديني، وإسقاطها على الواقع السياسي، بداية من اعتبار أن محمد مرسي حينما كان مرشحاً للانتخابات الرئاسية، هو المرشح الإسلامي الوحيد، وأن بقية الأسماء المطروحة في المنافسة السياسية، هي شخصيات علمانية بعيدة عن الإسلام والمشروع الإسلامي، بمن فيهم عبدالمنعم أبو الفتوح، الإخواني السابق، والقطب الشهير، ولما لا؟ فقد قرر الرجل كسر تابوهات التنظيم، والانقلاب على القنوات الفكرية كافة التي تربى عليها التنظيم طيلة ثمانين عاماً.

وانطلاقاً من استحضار التأويلات الخاصة بالنص الديني، كانت مواقع التواصل الاجتماعي تعج طيلة الوقت بتفسيرات، لها دلالات سياسية وإسقاطات على الواقع السياسي، إمعاناً في ليّ عنق النص والذهاب بالمعارض السياسي إلى أتون الهلاك الدنيوي والأخروي، إذا ما أقدم على نقد أو مهاجمة الرئيس أو حتى القيادات الإخوانية في مكتب الإرشاد.

وذهب التنظيم بالنص الديني إلى أقصى اليمين في تحريف معناه، فبات على سبيل المثال مصطلح الشورى، يتم استخدامه، في توظيف القرار السياسي وترويجه للرأي العام، والحديث عن أن قيادات التنظيم لا تخطئ لأنها تتتهج الشورى في اتخاذ القرار، وأن «الشورى كلها خير» وأن «من اجتهد فأصاب فله أجر ومن اجتهد فأخطأ له أجران».

بل إن التنظيم حينما أراد التمترس ضد المعارضة الليبرالية، واليسارية والعلمانية، حشد كل علماء السلف المؤيدين له، وعلماء الأزهر الداعمين له في مؤتمر «دعم الثورة السورية»، وجلس الرئيس المعزول محمد مرسي يسمع بأذنيه دعوات الهلاك على المعارضين، واستخدام النص الديني في توصيف حال المعارضة، وأنها تحارب الله ورسوله.

ومع قعود «أهل الدين» أو من نعتوا أنفسهم بأهل المشروع الإسلامي على كرسي الحكم، بات ما عداهم إما ناقص الإيمان أو متأرجحاً ما بين الشك واليقين. وبات الدين محصوراً في قبضة الإخوان السياسية، على الرغم من إدراك العقلاء منهم أن الخطاب المتطرف في تقييم الموقف سيحقق نتائج كارثية. بدا في النهاية أن الجميع كان يجب الانتباه إلى ضرورة تحرير الدين من قبضة السياسة، لأن أحداً في التاريخ لم يكن بوسعه ادعاء الحق المطلق في النطق باسم الدين، ولم يتمكن أي عالم أو لون فكري أو مذهبي من صهر الناس جميعاً في بوتقته⁽¹³⁾.

ومع مرور الوقت وعجز الإخوان عن تحقيق إنجاز سياسي أو اقتصادي واضح، يستطيعون من خلاله البرهنة على صلاحية مشروعهم السياسية للبقاء في السلطة طويلاً، بات الخطاب الإعلامي المتطرف هو ديدن التنظيم ومريديه في مواجهة المعارضة، وباتت مواقع التواصل الاجتماعي، من فيسبوك وتويتر حافلة بتصريحات من قيادات إخوانية أو داعمة للإخوان، تدعو إلى قتل رموز المعارضة، وخاصة جبهة الإنقاذ، وغيرها من التصريحات الأخرى، كتصريحات صفوت حجازي «اللي يرش الرئيس مرسي بالمية هنرشه بالدم»، ودعوات أستاذ الأزهر محمود شعبان بالقبيض على قيادات جبهة الإنقاذ وقتلهم لأنهم يخلعون بيعة الرئيس المؤمن «محمد مرسي» من رقبتهم.

بل إن سعي محمد مرسي إلى الحصول على قرض صندوق النقد الدولي، قابله داعمو الإخوان ورموزهم بالقول: إن القرض، ليس به شبهة ربا، وإن نسبة الفائدة ما هي سوى مصاريف إدارية. وانبرى عبدالرحمن البر (مفتي الإخوان) بالدفاع والاستشهاد بنصوص دينية باعتباره ليس حراماً⁽¹⁴⁾.

وأصبح توظيف العامل الديني في السياسة والعملية السياسية، واستخدام ذلك في الخطاب الإعلامي للإخوان والإسلاميين في مواقع التواصل الاجتماعي، ما

(13) ياسر الزعاترة، استخدام الدين في السياسة.. أم السياسة للدين؟، موقع الجزيرة نت، 2014/6/11 على الرابط المختصر التالي: <http://goo.gl/sx7Bpr>

(14) علماء إخوان يرون عدم حرمة قرض النقد الدولي، العربية، موقع العربية، 27 أغسطس (آب) 2012، على الرابط التالي: <http://www.alarabiya.net/articles/234433/27/08/2012.html>

هو إلا «استغلال» للدين من أجل هدف دنيوي لم يأت الدين لأجله، بل كان دائماً يؤكد الإيمان والابتعاد عن مغريات الحياة⁽¹⁵⁾.

وكان التاريخ الإسلامي واضحاً في مواقع التواصل الاجتماعي، حين التدليل على صحة موقف الإخوان تجاه الأحداث، ففي أحداث مكتب المقطم الشهيرة التي تظاهر فيها⁽¹⁶⁾ بعض رموز القوى السياسية، اعتراضاً على ضرب الصحفيين أمام مكتب الإرشاد، وتخلل التظاهر اعتداء البلطجية على عناصر إخوانية، خرجت تأويلات دينية لمواقع تاريخية، فقيادي إخواني نشر على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي: إن أحداث المقطم هي ذاتها تفاصيل صلح الحديبية، الذي حدث في العام الخامس من الهجرة، وأن فتح مكة قد اقترب، وعلى الإخوان الاستعداد لذلك جيداً، بل إن تفسير الرجل للأحداث انطلاقاً من التاريخ الإسلامي، شاع على مساحات كبيرة لدى قطاعات عريضة من الإخوان والإسلاميين، وتداولوا روايته للأحداث باعتبارها مسلماً وأمرأً حقيقياً⁽¹⁷⁾.

في أحداث مفصلية في الثورة المصرية، كأحداث محمد محمود ومجلس الوزراء وما سببوه، عجت المواقع الاجتماعية برؤية الإخوان السلبية تجاه الأحداث، وهو ما أحدث -تبعاً لذلك- فجوة كبيرة بين التنظيم والقوى المدنية كافة، وما عرف بعد ذلك بموقف القوى السياسية من تتصل الإخوان من دعمهم في محمد محمود، وأن الإخوان باعوا الثورة في تلك الأحداث.

زد على ذلك أن الإخوان كانوا طيلة الوقت، بعيدين تمام البعد عن استخدام سلاح التكفير في حق المخالفين، واشتهر عن الإخوان وسطية مشروعهم السياسي ذي الخلفية الإسلامية، لكن مع ولوجهم معركة الحكم، بات الخطاب التكفيري هو لسان حال شرائح معقولة من التنظيم تجاه المعارضين، في مواقع التواصل الاجتماعي،

(15) شيرزاد أحمد النجار، العلاقة بين الدين والدولة، مرجع سابق.

(16) «أحداث مكتب الإرشاد»، موسوعة ويكيبيديا على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/12hl5g>

(17) عز الدين دويدار ورؤيته للأحداث، على الرابط التالي:

<https://www.facebook.com/dir.ezzelden/posts/1462291343999254>

وباتت المعارضة لا تدري إن كان الأمر صراعاً سياسياً كما هو واضح، ومن ثم لا مجال للحديث عن التكفير، ولكن لإدراك التنظيم جلياً لمكانة الدين في الوسط الاجتماعي، كان النص الديني في توصيف وضع المعارض، من الدين ومن «الرب»، ليستطيع بعد ذلك التنظيم من خلال المواقع الاجتماعية ذبح معارضيه من دون أن يستطيعوا مجارة الخطاب التنظيمي في النقاش، وخصوصاً أنه يصف حالهم بآيات من القرآن، وبات التساؤل واضحاً: هل التكفير هنا هو تكفير ديني عقدي محض؟ أم تكفير سياسي خالص؟ أم تكفير تتداخل فيه معطيات الاثنين معاً؟ وكان جلياً أن الإخوان يلجؤون إلى التكفير أو على الأقل إلى وصم المعارضين بنواقص عقدية أو أخلاقية، من أجل التغلب عليهم والتغلب على الإخفاق السياسي⁽¹⁸⁾.

ثانياً: قدسية الرمز الديني

كان من البديهي أن تستعين الحركة الإسلامية بداية من مدرسة الإخوان فالسلفيين والجماعة الإسلامية برموزها الشرعية، ورموزها الدعوية في الممارسة السياسية ولم لا وقيادات الصف الأول والثاني والثالث كلهم منهكون في العمل السياسي؟ ومن ثم كان من الطبيعي اقتحام الرموز الشرعية الإسلامية العمل السياسي، وأعني هنا بالرموز الشرعية، تلك المعنية بدراسة العلوم الشرعية، سواء من حيث التخصص كأساتذة الكليات الشرعية في الأزهر وخلافه، أو حتى أولئك الذين أسند إليهم التنظيم مسؤولية التفقه في الأمور الفقهية ليكونوا مرجعية شرعية لأفراد التنظيم، وعامة الناس، يرجعون إليهم في مسائلهم الفقهية، وهذا الأمر معلوم عند تنظيم الإخوان تحت مسمى «قسم الدعوة» ويهتم بتخريج رموز شرعية تتولى أمور الدعوة والخطابة في المساجد.

ولما انفتح الإخوان والإسلاميون على العمل السياسي بشكل كامل، كان من الطبيعي استخدام تلك الرموز الشرعية، في العمل السياسي، أو توظيفهم لتمرير الرسائل السياسية إلى المجتمع، سواء من خلال استخدام المنابر الدعوية في المساجد

(18) خالد الدخيل، مراجعات للوهابية: التكفير بين الديني والسياسي، جريدة الحياة، 28 سبتمبر (أيلول) 2014، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/USy7eJ>

والخطب والقوافل الدعوية في المساجد، أو من خلال الكتيبات في القرى والمدن.

ومع اندماج الرموز الشرعية في العمل السياسي، بات لتلك الرموز، وضعية مجتمعية لدى التنظيم أقرب إلى «التقديس». وبغض النظر عن الاستغراق في أبعاد الكلمة، إلا أن وضعية الرموز الشرعية، أو الرمز الديني، أو ما يعرف إعلامياً بـ«رجل الدين»، باتت لها جلالها، وقيمتها التي تحصنها من نقدها أو لومها أو حتى مراجعتها فيما تسوقه من سرود فقهية أو شروح دينية للمواقف السياسية المختلفة، أو حتى إسقاط أحكام فقهية على المخالفين.

أصبحت القناعات الفقهية لهذه الرموز الشرعية النابعة من فهمهم للنص الديني، هي التي ترسم الخط السياسي، للتنظيم الديني، حتى إن الإخوان حينما وضعوا برنامج حزب الحرية والعدالة، ضمّوا برنامج الحزب مادة خاصة بمراجعة القوانين كافة التي تصدرها الدولة متمثلة في مجلس الشعب، من جانب لجنة من كبار العلماء، وكانت بصمة الرموز الدينية لدى الإخوان واضحة في وضع تلك المادة.

ولذلك، فكان من خطايا الإخوان الكبرى بعد وصولهم إلى الحكم، أن غلب على سياساتهم الطابع الإقصائي والاحتكاري للسلطة. وكانت العقبة الأساسية فقدان الثقة بين الجماعة والفرقاء السياسيين بعد وصولها للسلطة، وكان الخطاب الديني، للرموز الدينية ذا تأثير واضح في ذلك، كمؤتمر دعم سوريا وحضور الرموز الدينية بجوار مرسي على سبيل المثال لا الحصر⁽¹⁹⁾.

في جانب آخر من الصورة، يقدم الرمز الديني للتنظيم، وخصوصاً في الإخوان تصوره عن قضايا جوهرية في صلب المشروع السياسي لأي حركة سياسية تسعى إلى تأصيل مفهوم الدولة المدنية حتى تلك التي لها خلفية إسلامية، ومع حصانة موقع الرمز الديني لدى التنظيمات الإسلامية، يقدم هذا الرمز تصورات مغلوطة عن قضايا مثل ترشح المرأة للرئاسة والموقف من الأقباط، والتعددية الحزبية والموقف

(19) خليل العناني، نقطة تحول: سقوط حكم الإخوان ومستقبل الإسلام السياسي، الأهرام الرقمي، 1 أكتوبر (تشرين الأول) 2013، على الرابط التالي:

<http://www.ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial=1491645&eid=254>

من أصحاب الأفكار السياسية المختلفة كاليسار والليبرالية، بل، إن تلك الاجتهادات تصبح بعد ذلك «ديناً» يتبناه أعضاء التنظيم في مواجهة الخصوم⁽²⁰⁾.

أضف إلى ذلك -على سبيل المثال- أن الرمز الديني ورؤاه الفكرية في توصيف الصراع السياسي القائم، بينه وبين الأنظمة الحاكمة، يهرع سريعاً إلى توصيف الصراع باعتباره صراعاً دينياً بحتاً، وأن الإسلام بات مهدداً، حتى إنه في ظل ترؤس محمد مرسي الحكم، كان الخطاب الديني لتلك الرموز في هذه الفترة أن القوى غير الإسلامية والعلمانية والليبرالية تحارب الإسلام والرئيس المؤمن، حتى بعد الإطاحة بمحمد مرسي، من سدة الحكم ومع اتفاقنا والتسليم بما يحدث على اعتباره اضطهاداً سياسياً، واضحاً ضد الإخوان، إلا أن الإخوان عادوا مرة أخرى، وأكدوا في خطابهم الإعلامي أنها حرب على الإسلام⁽²¹⁾، وما هو ذو صلة. فالرمز الديني لدى التيارات الإسلامية الجهادية سواء تنظيمات مسلحة مثل تنظيم الدولة أو أنصار بيت المقدس أو أجناد مصر أو أنصار الشريعة أو بوكو حرام، أو غيرها من المنظمات الجهادية التي تركت السلاح لأسباب شتى، كتنظيم الجهاد في مصر أو الجماعة الإسلامية، هو الذي يرسم القناعات الفقهية التي على إثرها يتم التعامل مع الخصم، فالأمر يتعدى التكفير إلى وضع الحد النهائي لحياة الخصم، إما إراقة الدماء، باسم النص الديني أو استتابته وتجنيدته للصف بعد إعلانه التوبة والرغبة في العمل للإسلام⁽²²⁾.

تبقى الإشارة إلى أن الرمز الديني، بل القيادة الدينية للتنظيم، سواء الإخوان أو غيرها من التنظيمات الإسلامية الأخرى، لا يقع إطلاقاً تحت طائلة المساءلة أو العتاب أو النقد أو المراجعة، سواء لخطابه الإعلامي أو الديني في تناول الإعلامي له في مواقع التواصل الاجتماعي من مريديه حتى ولو كان الصف التنظيمي يرى

(20) بشير المومني، الإخوان بين أزمة الهوية وجدلية الدولة، وكالة عجلون الإخبارية، 1/4/2013، على الرابط التالي:

http://ajlounnews.net/index.php?module=participations&c__id=&tid=3195

(21) مصر وتمييز الصراع.. الإسلام أم الإسلاميون، موقع الخلافة، 4 فبراير (شباط) 2013، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/zKF2X7>

(22) عبدالله عبد الرحيم الأسدي، جذور الإرهاب الإسلامي، موقع الحوار المتمدن، 3/12/2014، على الرابط التالي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=444362>

عكس ما يطرحه هذا الرمز من رؤى دينية، وإذا ما تم توجيه النقد له على صفحات المواقع الاجتماعية، تخرج جحافل الداعمين للدفاع عنه بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة.

ثالثاً: دور المرأة المؤدّجة في عالم التواصل الاجتماعي

كان أحد المكتسبات التنظيمية للأخوات المسلمات، بعد ثورة يناير، قدرتهن على تطويع التنظيم لبعض تطلعاتهن التنظيمية فيما يتعلق بالمناصب الإدارية، وحتى تلك التنظيمات أو الحركات أو الأفكار ذات الصبغة السلفية، استطاعت المرأة داخلها الانطلاق نحو التحرك بأريحية داخل التنظيم، فظهر في الدعوة السلفية دور المرأة واضحاً في حزب النور السلفي وفي الجبهة السلفية وفي غيرها من التكتلات الأخرى ذات الصبغة الإسلامية⁽²³⁾.

ومع تطور الأحداث بدا نشاط المرأة في عالم التواصل الاجتماعي مقبولاً، في ظل الانفتاح الاجتماعي والسياسي وحتى الشرعي، فظهر دور واضح للأخوات المسلمات على مواقع التواصل الاجتماعي، وأصبحن صاحبات رؤية تحليلية واضحة للأحداث، ولهن قطاع عريض من المتابعين سواء الذكور أو الإناث من التنظيمات الإسلامية، وأصبحن فاعلات قويات في العمل السياسي والاجتماعي والتطوعي، وأصبح لهن منابر إعلامية من صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، يبرزن من خلالها هذا النشاط⁽²⁴⁾.

بل سعى الإخوان إلى نفي الاتهامات الموجهة إليهم بتهميش دور المرأة، وقاموا بعقد مؤتمرات للمرأة بعد الثورة وترشيح العديد من النساء في البرلمان، وأصبحت العناصر النسائية مسؤولة عن لجان مختلفة داخل التنظيم، ومن هنا برز وجودهن

(23) رويترز، الأخوات المسلمات في طليعة المشهد، 2014/12/15، على الرابط التالي:

<http://ara.reuters.com/article/idARAKBN0JT23120141215>

(24) نساء التيارات الإسلامية ودخولهن الساحة السياسية... السلفيات والإخوانيات نموذجاً، بوابة الحركات الإسلامية، 13 يونيو (حزيران) 2014 على الرابط التالي:

<http://www.islamist-movements.com/2780>

على مواقع التواصل الاجتماعي⁽²⁵⁾.

واستعان التنظيم بـ«الأخوات المسلمات» في مناهضة النظام السياسي الحالي، ومنحهن صلاحيات كبيرة في إدارة الحراك السياسي على الأرض، وإدارة بعض المنابر الإعلامية على مواقع التواصل الاجتماعي⁽²⁶⁾.

الإسلام السياسي وبعث جديد

أولاً: إعادة ترجمة رؤية الإسلاميين للإعلام

تبلورت خطايا الإسلاميين متضمنين الإخوان، والمدارس الإسلامية الأخرى كافة، التي اتخذت من السياسة نشاطاً بعد ثورة يناير، في تعاملها مع مواقع التواصل الاجتماعي، في ثقافة الأصولية الاستغلالية، فخرج خطاب الإخوان - على سبيل المثال - فوقياً بامتياز، يقدم رسالة إعلامية مفادها أن الطرح السياسي - خاصتهم - هو الخلاص من المشاكل السياسية كافة، التي يمر بها المجتمع. وانطلاقاً من ذلك، سحب تدشينهم لما سمي بـ«مشروع النهضة»، صخباً إعلامياً ضخماً في مواقع التواصل الاجتماعي باعتباره، مبعث الفخر لكل الوطنيين المخلصين وأن على الجميع تبنيه والإعلاء من شأن هذا المشروع لتضمنه حلولاً تكفي لعشرات الأعوام المقبلة، للمشاكل كافة، التي يعاني منها المجتمع.

وعلى الرغم من أن الإسلاميين وخطابهم السياسي كان محط نقد خضم في وسائل الإعلام فيما بعد الثورة، وصل الأمر إلى التخويف من الإسلاميين. وقد كان واضحاً مسلك بعض وسائل الإعلام في التهيب، من المشروع الخاص بالإسلاميين في العمل السياسي، إلا أن رد فعل الإسلاميين في مواجهة ذلك كان غاية في التعقيد⁽²⁷⁾. دفع التنابز الإعلامي تجاه الإسلاميين، وتطرف بعض الرؤى في تقييم

(25) الأخوات المسلمات.. دور المرأة في مصر، موقع الجزيرة. نت، 2011/7/3، على الرابط المختصر التالي: <http://goo.gl/Y1Z04B>

(26) في مصر: الإخوان تستعين بالمرأة في مواجهة السلطة، 24 نيوز، 14 ديسمبر (كانون الأول) 2013، على الرابط المختصر التالي: <http://goo.gl/kABYP7>

(27) عصام زيدان، كيف يخاطب الإسلاميون الإعلام، الألوكة الثقافية، 2013/3/12، على الرابط التالي:

موقف الإسلاميين من المشهد السياسي، إلى لجوء الإسلاميين إلى المدرسة ذاتها في مجابهة النقد الموجه إليهم⁽²⁸⁾.

بل بدأ الإسلاميون في تعاطيهم، مع ما يطرح في مواقع التواصل الاجتماعي، في موقف رد الفعل، ينتظرون ما يقال، ثم يتوجهون إلى الخصم السياسي أو الإعلامي، بالنقد بالوتيرة نفسها، مما أدى في النهاية إلى تصدر رؤى وشخصيات متطرفة للمشهد الإسلامي، وتلاشت الدعوات كافة، الخاصة بتبني ميثاق شرف إعلامي محايد يخدم الوطن على حساب الحزبية أو الأيديولوجية⁽²⁹⁾.

حتى إن وسائل الإعلام، المحسوبة على الإسلاميين، التي تصدر من الغرب، بدأت في استضافة رموز إسلامية جهادية مبعدة من بلادها، للرد على ما يثار في الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي حول الإسلاميين ومواقفهم السياسية المختلفة، حتى باتت منابر إعلامية تصدر من الغرب، مرتعا لجهاديين ورؤى متطرفة دفعت بريطانيا -على سبيل المثال- إلى محاولة استصدار قوانين تمنع ظهور هؤلاء الجهاديين على شاشات القنوات التي تصدر من الغرب، سواء كانت قنوات إسلامية أو غربية⁽³⁰⁾.

زد على ذلك، أن مواقع التواصل الاجتماعي كانت تعج طيلة الوقت بتفسيرات سطحية للأحداث، تخرج من رموز سياسية ودينية وإسلامية محسوبة على تيار الإسلام السياسي، يتم اعتمادها داخل الصف التنظيمي كمرجع لفهم الأمور، بالإضافة إلى غياب التخصصية الفكرية أو الاقتصادية أو حتى السياسية لدى الكثير من الإسلاميين، وقدرة التنظيم، سواء الإخوان أو غيره من التنظيمات الأخرى، على

<http://www.alukah.net/culture/51679/0>

(28) المرجع السابق.

(29) خباب الحمد، الإعلام الإسلامي مشكلات في خط المواجهة، موقع المسلم، نت، على الرابط التالي:

<http://www.almoslim.net/node/121715>

(30) بريطانيا تقترح سن قوانين لمنع المتطرفين الإسلاميين من الظهور على القنوات، بي. بي. سي. عربي، 2 أكتوبر (تشرين الأول)

2014، على الرابط التالي الرابط:

<http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/-140930/10/2014britain-extremists-tv-bar-social-media>

تأهيل رموز متخصصة تقدم خطاباً متزناً للأعضاء التنظيميين قبل العامة⁽³¹⁾.

وعلى الرغم من الجزم بتطرف الإعلام الخاص في مصر في تناوله لبعض القضايا الخاصة بالإسلاميين، فإن حازم صلاح أبو إسماعيل (القيادي الإخواني السابق)، كان له ردود فعل دفعت الكثير من المتابعين إلى إدراك أن الإسلاميين برمتهم غير قادرين على قراءة المشهد والقدرة على إدارة المعركة مع الإعلام بحرفية عالية، فلجأ الرجل إلى حصار مدينة الإنتاج الإعلامي بدعوى رفضه لما يتم بثه في القنوات، وتم الترويج لهذا الاعتصام على مواقع التواصل الاجتماعي باعتباره نصراً وأولى حلقات التمكين للإسلاميين ضد الإعلام، وهو ما خلق حالة من الجفاء الكبير بين المتخصصين في مجال الإعلام والإسلاميين، وبات معه المناخ متوافقاً لمزيد من التطرف في تناول الإعلام لكلا الطرفين⁽³²⁾.

هنا تجدر الإشارة إلى الخطاب الإعلامي الذي صاحب اعتصام الإخوان ومريديهم من الإسلاميين في ميدان رابعة العدوية، وما كان يُقال على منصة رابعة، وكيف أنشئت الصفحات الإعلامية المتعددة على مواقع التواصل الاجتماعي، لتبرز ما يقال، وتُبرز ما يقال وتشره باعتباره خطاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على الرغم من تحذيرات جمة خرجت من هنا وهناك.

لذا، كان الخطاب الإسلامي في مواقع التواصل الاجتماعي منفراً ومفرقاً، بل بدا في النهاية أشبه بالسيف الذي يقطع الرقاب، لكل من يسعى إلى معارضة الطرح الإسلامي. ومن ثم، فحاجة الخطاب الإسلامي في مواقع التواصل الاجتماعي إلى الترميم باتت مهمة جداً، شأنه شأن ترميم المجتمعات والمنظمات، فضلاً عن انتزاع القناعات الفكرية والتنظيمية من تناول الإعلام، والسعي إلى الاندماج المجتمعي بعيداً من الفوقية والاستعلاء، خصوصاً في قطاعات كبيرة لدى شباب التنظيمات الإسلامية، والتي دائماً ما يتضمن محتوى خطابها الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي، نصوصاً قطعية بمواقفها العقدية أو حتى السياسية من الآخر،

(31) خباب الحمد، الإعلام الإسلامي.. مشكلات في المواجهة، موقع المسلم. نت، مرجع سابق.

(32) علاء محمود سامي، الإعلام المصري وشيطنة الإسلاميين، موقع المسلم. نت، على الرابط التالي:

<http://www.almoslim.net/node/176441>

سواء المختلف في الفكر أو حتى المختلف في الدين، وهذا ما تسبب في فجوة كبيرة في المجتمع.

زد على ذلك، أن الخطاب الإسلامي في المواقع الخاصة بالتواصل الاجتماعي بات في حاجة إلى تحمل المسؤولية تجاه المجتمع، وأن يكون خطابه بعيداً من الانتقامية السياسية، وأن يسعى دائماً إلى الاحتواء لا البرهنة على صحة الموقف السياسي، ولو على حساب التقارب الثوري⁽³³⁾.

ثانياً: من له الحق في رقابة أداء الإسلاميين الإعلامي؟

مع تفجر الحركة الثورية في مصر، ونجاح «ثورة يناير»، استطاع الحراك الثوري كسر المزيد من التابوهات المقدسة، التي لازمت المشهد السياسي طيلة السنوات الماضية، فضلاً عن حالة الانفتاح الكبيرة على المستويات كافة، سواء الفكرية أو العقدية، التي مرت بها البلاد. كل ما سبق، قلص من قبضة التنظيمات الدينية -وفي القلب منها الإخوان- على عناصرها في تمددهم الإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي. واعتبر الإخوان وغيرهم من الإسلاميين انتشار العناصر الإسلامية في مواقع التواصل الاجتماعي لمقارعة الأفكار الأخرى ومناطحتها الحجة بالحجة، أمراً يفيد تماسك التنظيم وليس العكس.

ومع تلاحم الأحداث وتتابعها بعد الثورة، تلاشت بشكل كبير الرقابة التنظيمية على ما يقدمه أعضاء التنظيم في مواقع التواصل الاجتماعي. فبعد أن كان التنظيم -وأقصد هنا الإخوان وغيره بطبيعة الحال من الجماعات الإسلامية- يتكلم بلسان واحد وبيان واحد لأعضائه كافة، باتت تأويلات المواقف والأحداث هي البطل في مواقع التواصل الاجتماعي، وتلاشت معها قدرة التنظيم على ضبط إيقاع الخطاب الإعلامي لاتباعه في مواقع التواصل الاجتماعي.

بل إن التطرف في الطرح كان يلاقي دعماً من التنظيم، على اعتبار أن ذلك يرسخ قدرة التنظيم على سحق الجميع، والوقوف بقوة أمام أية أفكار أو طروحات

(33) عاصم زيدان، كيف يخاطب الإسلاميون وسائل الإعلام؟ مرجع سابق.

مخالفة للطرح المعلق في رقبة التنظيم⁽³⁴⁾.

ومع ارتفاع صوت الإعلام ، والإعلام الإسلامي المضاد له في النقد السياسي، بدأ الإعلام المصري، كالحزب السياسي الذي يلعب الإسلاميين السياسة، وهو ما دفع الإسلاميين إلى تبني خطاب متطرف في مواقع التواصل الاجتماعي، تضمن تقريع الإعلاميين والتهكم عليهم والنش في خصوصياتهم، والترويج لأكاذيب حولهم لقي بعضها رواجاً كبيراً بين أوساط الصفحات الخاصة بالإسلاميين باعتبارهم يخوضون معركة مقدسة ضد الإعلام الذي يرونه إعلاماً سفيهاً، يجوز استخدام الأدوات كافة، المشروعة واللاشريعة، في مجابهته⁽³⁵⁾.

وفي ظل ازدياد الصراع السياسي، تلاشت أية إمكانية للرقابة على المضمون المقدم في مواقع التواصل الاجتماعي، سواء من جانب الدولة في شكلها الرسمي، أو من خلال المؤسسات الدينية الرسمية أو حتى من خلال الكيانات الشعبية المعنية بالحفاظ على الخطاب الإعلامي صادقاً، بعيداً من الصراع السياسي، وانتهى الأمر برمته إلى المعالجة الأمنية، التي تقوم بها الدولة من خلال القبض على بعض الأشخاص المحسوبين على الإسلاميين، واتهامهم بإدارة صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي ذات محتوى يناهض تماسك الدولة ويروج للإشاعات.

بقي تأكيد أن رواج الخطاب الديني وقدرته على تجميع المريدين حوله وحسم المعارك السياسية، سواء في مواقع التواصل الاجتماعي أو غيرها من المواقع الإلكترونية، دفع بالخصومة السياسية إلى انتهاج النهج نفسه في محاربة، الآخر، فلجأ عبدالفتاح السيسي حينما كان مرشحاً وبعدهما وصل إلى سدة الحكم، إلى استخدام الخطاب الديني لتجميع الفرقاء حوله⁽³⁶⁾.

(34) ميشيل كيلو، مأزق يتحدى الإسلاميين، موقع العربية، 2 يناير (كانون الثاني)، على الرابط المختصر التالي:
<http://goo.gl/CbJxlm>

(35) شحاتة عوض، الإعلام المصري.. أزمة بنيوية أم مرحلة عابرة؟ مركز الجزيرة للدراسات، 23 يونيو (حزيران) 2014، على الرابط التالي:

<http://studies.aljazeera.net/mediastudies/201422011239377163/02/2014.htm>

(36) رويترز: تصريحات السيسي تؤكد نجاحه في مواجهة الإسلاميين بسلاحهم، صحيفة اليوم السابع، 9 مايو (أيار) 2014، على الرابط المختصر التالي:

ثالثاً: دور مؤسسات الإسلام الرسمية: الأزهر والأوقاف

في ظل حالة السيولة السياسية التي أعقبت ثورة يناير، تلاشى دور الأزهر والأوقاف في مواجهة الخطاب الإعلامي للإسلاميين، خاصة المتطرف منه، في مواقع التواصل الاجتماعي، وباتت محاولات المؤسسات الرسميتين كافة، متلخصة في مؤتمر هنا يحارب الأفكار المتطرفة أو قافلة هناك لشيخ أزهرة أو علماء في الأوقاف، تذهب إلى بعض القرى والمدن لتخطب في الناس حول خطورة مواقع التواصل الاجتماعي، في خطاب تقليدي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ومع تزايد الصيحات التي تطالب المؤسسات بالعمل على الوقوف أمام الخطاب السائد في الإعلام والتأويلات النصية للنص الديني، وإسقاطها على المشهد السياسي في مواقع التواصل الاجتماعي لم تجد مؤسسة مثل الأوقاف سوى استخدام سيف القانون، في مواجهة الرموز الدينية التي تسيطر على المساجد وتممر من خلال المنابر ما تريد من رؤى فكرية متشابكة ومعقدة وبعضها معقد الي قواعد التنظيم، لتنتشر بعد ذلك في المواقع كافة المعنية بالتواصل الاجتماعي، فلجأت الأوقاف إلى فرض سيطرتها على المساجد من خلال تعيين إمام وخطيب وعامل لكل مسجد، يتبعها في الإدارة ويتولى تبني الخطاب الديني المنوط بالوزارة تقديمه إلى شرائح المجتمع العمرية المختلفة⁽³⁷⁾.

وعلى الرغم من نجابة الفكرة، فإن عجز الموارد المالية للوزارة جعلها لا تستطيع أن تضم لإداراتها المختلفة سوى (50) ألف مسجد على مستوى الجمهورية، فيما يتبقى آلاف المساجد الأخرى التي عجزت عن توفير اعتمادات مالية لتعيين أئمة وخطباء لها، فباء دور الأوقاف في مواجهة الخطاب الإعلامي للإسلاميين، وإبعاد بعضه المتطرف، بالفشل الكامل.

من جانبه كان الأزهر حريصاً على إيفاد رموزه الشرعية إلى المحافظات

<http://goo.gl/09g5dl>

(37) المؤسسات الدينية في مواجهة التطرف، الأهرام اليومي، 18 يناير (كانون الثاني) 2014 ، على الرابط:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=1514859&eid=3498>

المختلفة، من أجل تقديم الرؤية الخاصة بالأزهر في الشؤون كافة، التي يقابلها المجتمع المصري، ولكن من جراء عدم توافر الآليات الحديثة للدعاة من توفير المراجع الفقهية الكثيرة وتوفير الأطروحات الفكرية الحديثة كافة، التي تخدم الخطاب الوسطي، كانت رسائل الأزهر إلى المحافظات من رموز شرعية لا تعدو كونها مجرد روتين، يقوم به الداعية باعتباره موظفا فحسب⁽³⁸⁾.

ومع ازدياد الآثار الجانبية للخطاب الإعلامي للإسلاميين في مواقع التواصل الاجتماعي، أقر الأزهر في نهاية الأمر بأن عجز الدعاة عن التثقف ومجاراة التقدم الفكري، أدى إلى زيادة معدلات التطرف بين الشباب، وأن مواقع التواصل الاجتماعي باتت مصدر التثقيف للشباب⁽³⁹⁾.

ومع زيادة المطالب التي وجهت إلى الأزهر لتوضيح موقفه من الخطاب المتطرف الذي تتبناه الجماعات الجهادية، ومآلات أفعالهم على الأرض، من استباحة دماء الناس، بتحريف المعنى الحقيقي للنص الديني، كما يفعل تنظيم الدولة، وتنظيم أنصار بيت المقدس، ذهب الأزهر إلى عقد مؤتمر، يحارب من خلاله التطرف والإرهاب. ودعا الأزهر إلى مقارعة الجهاديين، الحجّة بالحجة والجلوس إليهم، والنقاش معهم وأبدى شيخ الأزهر ترحيبه بالجلوس مع رموز الجماعات الجهادية، أيا كان مكانهم، لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام.

موقف الأزهر من تكفير «داعش»، كان مثار خلاف بين أطراف عدة، فالدعوة السلفية، وظهيرها السياسي حزب النور، أحد الأطراف السلفية المحسوبة على تحركات 3 يوليو (تموز) 2013، أيدت موقف شيخ الأزهر، بجانب ما يسمى بـ«الجهة السلفية»، وهي تجمع لرموز إسلامية سابقة تتبنى خطاباً وسطياً وتدعو إلى لغة الحوار لحلحلة مشاكل المجتمع، والتي أعلنت في بيان لها أن بعض الأصوات النشاز

(38) قافلة من الأزهر إلى البحر الأحمر، بوابة الأهرام على الرابط:

<http://goo.gl/ysA6Xp>

(39) رئيس جامعة الأزهر، انصراف الدعاة عن مشاكل المجتمع سبب التطرف، صحيفة المصري اليوم، 2014/12/5، على الرابط التالي:

<http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=446345>

تتعالى في الآونة الأخيرة بالهجوم على الأزهر الشريف، وتسعى بشكل حثيث إلى استئصال جذوره واقتلاعها، والأسلحة الحادة تبيري كل يوم لتطال رموزه، وشيوخه وطلابه، ومناهجه، وخطابه الديني، وكل شيء فيه، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك خطة محكمة مدبرة من قبل أعداء مصر في الداخل والخارج، في إطار هدم كل الثوابت والقيم للقضاء على الأزهر الشريف راعي الوسطية والاعتدال اللذين هما جوهر ديننا الحنيف⁽⁴⁰⁾.

من ناحية أخرى، كانت أطراف محسوبة على السلطة، وقرية من الخط العلماني، تهاجم الأزهر، رافضة عدم إقدامه على تكفير «داعش»، مستشهدة بنماذج سألفة محسوبة على بعض علماء من الأزهر قاموا بتكفير أصحابها، مثل طه حسين وفرج فودة. وكأن تلك الأطراف تريد أن تقول للأزهر: لقد كان التكفير سهلاً لرموز فكرية مصرية أصيلة في الماضي، فلماذا لا تكفرون «داعش» الإرهابي؟ على الرغم من أنهم يدركون جيداً أن الأزهر ليس طرفاً في معركة التكفير⁽⁴¹⁾.

ولكن تبقى جملة من الحقائق في تعاطي الأزهر مع الخطاب الفكري الذي يتضمنه الطرح الإعلامي للإسلاميين عموماً والجهاديين خصوصاً:

1- يعتمد الأزهر دائماً في تعاطيه مع الطروحات الفكرية للجهاديين، دون ردة فعل، فلم نر على مدار سنوات، أية دراسات جادة أو أطروحات فكرية، أو ورش عمل حقيقية يقوم بها الأزهر ويحاول أن يصل من خلالها إلى أصحاب الفكر الجهادي المتطرف، لإقناعهم وإثرائهم عن المضي فيما يذهبون إليه.

2- يظل الخطاب الفكري للأزهر سلبياً، ولا يتحمل المسؤولية في علاج أزمة التطرف، فلم نجد -على سبيل المثال- تفصيلاً للنصوص الدينية كافة، التي يعتمد عليها الجهاديون في قتل أو ذبح أو حتى سبي الخصوم السياسيين، أو حتى الخصوم

(40) الجبهة الوسطية: عدم تكفير الأزهر لداعش ينم على فهم صحيح للسنة، صحيفة اليوم السابع، 17 ديسمبر (كانون الأول) 2014، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/ksKN35>

(41) الأزهر كفر هؤلاء.. وتكفير «داعش» حرام، موقع دوت مصر، 13 ديسمبر (كانون الأول) 2014، على الرابط التالي: <http://dotmsr.com/ar/154082/1/604/>

الدينيين لهم، ولم نر شرحاً وافياً من جانب الأزهر لتلك النصوص لتوضيح مدى صحة الفهم المطروح من جانب الجهاديين.

3- وبعد مئات السنوات لا يمتلك الأزهر منبراً إعلامياً مهنياً يستطيع من خلاله الوصول إلى المسلمين كافة في بقاع الأرض، ليقدم خطابه الوسطي والتنويري.

4- بقي في النهاية، أن انتقال الأزهر من دور التنوير إلى مجرد كونه ملتحقاً بالسلطة، أفقده دوره الحقيقي في انتشال أصحاب الرؤى القاصرة من براثن التكفير والجهل إلى النور.

رابعاً: الإسلاميون ومخاطبة الغرب عبر الإعلام

على الرغم من أن الإخوان حينما وصلوا إلى الحكم في مصر، كانت علاقاتهم بالغرب جيدة، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، وشهد مكتب خيرت الشاطر (نائب المرشد العام للإخوان، لقاءات عدة بينه وبين آن باترسون (السفيرة الأمريكية في القاهرة -آنذاك)، بجانب جون ماكين (السياسي الأمريكي البارز)، إلا أن الرؤى داخل التنظيم الإخواني حول الموقف من الغرب بعد ثورة يناير وعند وصولهم الحكم كانت مختلفة، فقيادات التنظيم كانت مؤمنة بأن الغرب يرحب بوصول النموذج الإخواني إلى الحكم، وخاصة أنه شبيه بنظام رجب طيب إردوغان في تركيا، وأن موقف الغرب من تركيا سيكون هو الموقف نفسه من إخوان مصر، في حين كانت قواعد الإخوان، وخصوصاً أولئك الذين تسلفوا (أي تشبعوا بالأفكار السلفية) في الفترات السابقة، يرون أن مطامع الغرب في مصر تأتي دائماً ضد مصلحة الإخوان، وأن علاقة الإخوان بحماس سوف تكون حجة قوية للمساعدة على الإطاحة بالإخوان.

من هنا، كان خطاب الإخوان الإعلامي تجاه الغرب مختلفاً في شكله الرسمي عن شكله الشعبوي أو التنظيمي، فمنذ أربع سنوات، كتب خيرت الشاطر مقالة في الغارديان البريطانية جاءت تحت عنوان: «لا تخافوا منا»، داعياً الغرب إلى احترام الإخوان والثقة في مشروعهم السياسي؛ لأنهم يقصدون مصالح الوطن ولا علاقة لهم بمصالح الآخرين، في حين كان الخطاب التنظيمي غير الرسمي والشعبوي تجاه

الغرب، متطرفاً، وهو مقبول طبقاً لقناعات الإسلاميين بطبيعة الحال تجاه الغرب.

ولكن مع مرور الوقت وإخفاق الإخوان في توضيح العلاقة الحقيقية بين الإسلام والسياسة، وعدم قدرتهم على ممارسة السياسة باحترافية بعيداً من «الدروشة» (المزاجية)، وعجزهم عن فك الارتباط بينهم وبين الجهاديين السابقين أو حتى الحاليين، تعرض محمد مرسي، لمآزق سياسية، كان جلياً فيها تخبط الإخوان، وبدا أنه على أتم الاستعداد، للالتحاق بجهاديين أصحاب خط إعلامي متطرف ومخيف، في مقابل البقاء في السلطة، وهو ما وضع في أزمة خطف الجنود في سيناء، حيث لجأ إلى رموز جهادية وقيادات تنظيمية في سيناء لحفظ ماء الوجه وعودة الجنود حتى لا يشمت فيه الجيش، بجانب مشهد مؤتمر سوريا الشهير. هنا بدا للغرب أن الإخوان والجهاديين باتوا في خندق واحد، وخطابهم بات متشابهاً ولا مجال للتفرقة بينهما، وأن بقاء الإخوان في السلطة ربما يعزز موقف الجهاديين في سيناء على حساب أمن إسرائيل⁽⁴²⁾.

الأمر الآخر في تعاطي الإخوان مع السلطة، وبالطبع في خطابهم الإعلامي تجاه الغرب، هو إيمان الإخوان -وبطبيعة الحال من كان في معسكرهم من الإسلاميين- بأنهم الأجدر بالإدارة والاستحواذ على السلطة، وأنهم أصحاب الخبرة الوافية، ولا حاجة لهم في مشاركة أطراف يسارية أو ليبرالية، وهو ما حدث في أكثرية مجلس الشعب، بعد تراجعهم عن التصريحات الخاصة بأنهم لن ينافسوا على أكثر من الربع، بخلاف التشكيل الوزاري والتمسك بهشام قنديل (رئيس الوزراء الأسبق)، وهو ما بدا واضحاً في خطابهم، بأن الحديث عن إشراك رموز بعينها، سواء ليبرالية أو يسارية، ما هي إلا إملاءات غربية، وفروضات أمريكية على المسار الديمقراطي الذي يمثله الإخوان، يتبعها اتهامات بالعمالة والخيانة لكل الأطراف البعيدة عن معسكر الإسلاميين، والتي تتحدث عن تشاركية سياسية، تتلاقى وأطروحات الغرب نفسها. وبدا واضحاً في مواقع التواصل الاجتماعي، الخطاب الاستعلائي والتخويني من جانب الإخوان والإسلاميين لكل الأطراف الأخرى، لأنها تتكلم عن مشاركة

(42) عبد الفتاح ماضي، تحديات الإسلاميين في السلطة بعد الثورات، موقع الجزيرة. نت، 26/1/2013، على الرابط المختصر التالي: <http://goo.gl/OvOuEy>

سياسية، ويلحق الخطاب -بطبيعة الحال- اتهامات للغرب بمحاولات تدمير مصر والقضاء على التجربة الإسلامية⁽⁴³⁾.

عجز الإخوان والإسلاميون عن تبني خطاب إعلامي متزن حتى في خضم المعارك حامية الوطيس، سواء مع الغرب أو مع الأطراف الداخلية. وبات الخطاب أقرب إلى الهواة، ومجرد رد فعل من دون الارتكاز على مقومات توضح قدرتهم على القراءة الجيدة للأحداث. وأتخيل أن أحد مقومات سقوط الإخوان وفشلهم السياسي السريع كان هو الخطاب الإعلامي، واضمحلال القدرة على استشراف المستقبل لعدم امتلاكهم مراكز بحثية محترفة، تغذي دوائر صناعة القرار لديهم بمقترحات فاعلة.

خاتمة

كبد الخطاب الإعلامي للإسلاميين المجتمع خسارة كبيرة من جراء حالة الاستقطاب والتخوين، والتكفير التي أطلق لها العنان في مواجهة الخصوم السياسيين؛ في محاولة لخلق هالة مقدسة حول المظلومية السياسية التي تعرضوا لها بعد الإطاحة بمحمد مرسي. وعلى الرغم من إدراك الإسلاميين أنفسهم أن لغة الخطاب الذي انتهجوه في مواجهة الخصوم، غير مجدية، فأنهم عجزوا عن التأسيس لخطاب إعلامي مغاير.

على الرغم من السنوات الطويلة التي مر بها الإسلاميون في العمل الإعلامي، والخبرة الكبيرة التي كان من المفترض أن يكونوا قد حصلوا عليها من جراء العمل الإعلامي، فإن القيود التنظيمية دمرت الخبرات كافة، بل حجبت وصول المزيد من الخبرات إلى الإسلاميين، ليخرج معها الخطاب الإعلامي للإسلاميين مبتوراً.

وعلى الرغم من إخفاق الإسلاميين في تقديم مدرسة إعلامية حقيقية، في مواقع التواصل الاجتماعي، وعجزهم عن تقديم مشروعهم الفكري أو السياسي

(43) راشد الفنوشي، مآزق الإسلاميين في المشاركة أم الانفراد بالحكم؟ موقع أخوان ويكي، على الرابط المختصر التالي: <http://goo.gl/yxBpq5>

«إن وجد حقاً» بشكل بعيد عن تشويه الآخر، وبشكل يدفع أصحاب الفكر الحقيقي، والعقل الرصين في اللحاق بركبهم، فإن المتأمل لمواقع التواصل الاجتماعي يدرك من الوهلة الأولى أن بصمة حركات الإسلام السياسي باتت غير قابلة للنزع أو حتى المواجهة، في ظل عجز مؤسسات الدين الرسمية، سواء الأزهر أو الإفتاء أو الأوقاف، عن خلق حالة من التآلف الديني أو حتى السياسي خلفها، وعجزها عن تبني مدرسة إعلامية - أو حتى خلقها - تكون قادرة على تقديم خطاب إعلامي حقيقي يبرهن على تجديدية الإسلام وقدرته على اللحاق بتطورات العوالم الحديثة ذات تفاصيل ما بعد الحداثة.